

اللغة العربية في ظل القرآن

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

القاهرة

ولهذا السبب يضعه علماء اللغة في مقدمة المصادر التي يتم بها توثيق العربية ..

ومن الحقائق التي لا تقبل نقاشا .. ان القرآن .. هو النصح ما نطق بالعربية .. وكانت فصاحته ، على نهج ممجز ، لكل نصحاء العرب في عصر تالقت ملكة البيان فيه على اكمل صورها .. لدى قوم لم يعرفوا من صنائع الدنيا سوى صنعة البيان .. ولم يبرهوا نسي فنون الحياة براعتهم في قول الشعر ، والنثر ..

وقد حفظ القرآن الكريم مسددا من الاستعمالات .. التي لم تعد اليوم جارية في الاسلوب العربي .. مثل :

- « ان هذان لساحران » ..
- « قال رب ارجعون » ..
- « والارض مرشناها » ..
- « فقد صفت قلوبكما » ..

وكل هذه الاستعمالات وامثالها .. كان يستشهد بها في كتب اللغة والنحو ، على صحة ما يقابلها من الكلام العربي .

قال المستشرق الالماني بروكلمان :

ورد علينا من حضرة الاستاذ الكبير الشيخ احمد عبد الرحيم السايح بحث قيم في الموضوع اعلاه نقنيس منه ما يلي :

نزل القرآن الكريم باللغة العربية فجعلها اكثر رسوخا واتوى استقرارا ، وادق تصويرا ، لما يتبع تحت الحس ، وتصويرا عما يجول في النفس ..

ويجانب هذا امدها بطاقة .. جعلتها اوسع اتقا ، وابعد مدى ، واقدر على النهوض بتياراتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الاستوائية .

واستطاعت اللغة العربية في ظل القرآن الكريم .. ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تصمد ارمى اختلافات النفس ..

فالقرآن الكريم .. فضلا عن كونه ، قد احدث تغييرا جذريا في التفكير العربي .. شمل جميع مناهي الحياة ..

تقد كان سجلا لكل ظواهر اللغة العربية .. سجلا لم يطرا عليه انسى تغيير ، او تبديل .. رغم عوامل المعصور والزمن .. وما نعرف كتابا .. ضمن الخلود للغة في الدنيا .. كما منح القرآن الخلود للغة العربية ..

« بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اي لغة اخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بان العربية هي وحدها : اللسان الذي أهل لهم ان يستعملوه في صلاتهم . . . وبهذا - اكتسبت العربية ، منذ زمان طويل ، مكانة رفيعة ، فامت جميع اللغات الاخرى التي تنطق بها ثم صوبت اسلامية » .

وقال الدكتور جورج سارطون :

« وهب الله اللغة العربية - مرونة جعلتها قادرة على ان تدون الوحي احسن تدوين - بجميع دقائق معانيه ولغياته - وان تعبر عنه بمبارات عليها طلاوة ونبها متانة. وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى في التعبير عن المتعبد - الا ان هذا كله لم يمنع من نشوء لهجات متمسدة للتخاطب العادي وخصوصا حينما اصبح ابناء الامم المختلفة يتكلمون العربية - ولكن القرآن الكريم - جعل من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن اسس مقتضيات الحياة - »

ولقد كان القرآن الكريم في ذاته ثورة لغوية - نعتت اللغة من مرحلة اللهجات المختلفة - الى مرحلة المجتمع المتحضر المرتبط بلغة واحدة ومن مرحلة التعبير الشخصي - الى التعبير الموضوعي -

فاستطاعت العربية - ان تعبر في آيات القرآن عن معاني التشريع ومعاني السياسة ، والاقتصاد ، والحرب ، والتاريخ ، والفلك - وعلوم الاجتماع ،

والنفس . . . وهي فنون لم تمهدا العربية من قبل . وهذه آية واحدة من سورة الانعام تمثل ناحية من النواحي الكثيرة للعلوم الكونية والتي عبرت عنها العربية في القرآن الكريم . (الآية 99) .

ولقد اجمع الباحثون على ان القرآن الكريم - كان ولا يزال من اهم الحصون التي حمت اللغة العربية من الضياع ولا شك ان القرآن قد اوجد علوما كثيرة - منها ما يتعلق باللغة نفسها - كعلم النحو ، والصرف ، والبيان ، والمعاني ، والبديع ، ومنها ما يتعلق بالدين - كعلم التفسير - وعلم الفقه وعلم الاصول - وعلم الحديث - الى غير ذلك من العلوم الاسلامية الكثيرة - والتي نتجت عن القرآن الكريم -

وفي ظل رسالة القرآن الكريم جاء بثروة عظيمة من المفردات الجديدة - التي استعيرت من اللغات الاخرى ، والتي اشتقت من اصل اللغة - لتساير الحركة الاسلامية الكبيرة - والتي نحتت ، وصقلت ، وربما ابتكرت ، لتعبر عن المجال الحيوي الجديد - الذي دفع اليه القرآن -

ولا يفوتنا ان نذكر - ان الشعر ، والامثال ، والقصص قد ادت دورا بارزا في حفظ اللغة وتقويتها . . . الا ان جميع الدراسات اللغوية اثبتت في قوة - ان سبب نشأة العربية ونموها ، واتساعها ، وشمولها ، وتطورها ، وتطورها ، وقبولها للتعريب - هو القرآن الكريم -